أمم تعرض "زنّار النار" لبهيج حجيج

هل كان أيّار ضرورياً لنتذكر؟

■ هروب من الحرب.. هروب من الذاكرة

كان ضرباً من ضروب الحكمة، اعادة عرض زنار النار في هنغار أمم، بعد خمس سنوات من انتاجه، فتلك السنوات حملت احداثاً مفصلية سحبت افكار الفيلم من الرمزية والذاكرة البعيدة لتطرحه امام واقع حديث جداً لا يقوى جبان على نكرانه.

فريد قمر
faridkamar@albaladonline.com

عندما صنع بهيج حجيج فيلمه، كان يلج ذاكرتنا الجماعية، ويسترد منها احداثاً يصرّ لاوعينا على ركنها في زاوية مظلمة فلا تظهر احداثها. فلا احد منا كان يجرؤ على التذكر. البعض رأى في الأمر تمريناً صعباً على نكء جراح حاولت صفقة الطائف محوها، والبعض يرى في ذلك محاكمة شعبية له إذ كان ارتكب، فالناس حينها كانوا صنفين لا اكثر: ضحايا أو مشاركون، مع احتمال كبير ليكون البعض الاثنين معاً. لذا كبدا الفيلم عند عروضه الأولى وكأنه يتحدث عن حقبة تمتد في تاريخنا قروناً، وبدت ان السنوات القليلة التي مرت كانت كفيلة بمحو احتمال التكرار من اجندة الأحزاب ذاتها التي كانت تتقاتل. فبدا الفيلم عبثياً ولم تبد حبال صلته بالواقع متينة كما بدت في العرض الحالي. فبعد عملية اغتيال الرئيس يوم هربا من القصف فجمعتهما القذائف قبل ان تفرقهما فعيش حياته بحثاً عن امل يتمثل بها. وفي رحلة البحث، نراه يرقب تحول كل انسان الى وحش، وكل رجل الى مجرم محتل، من طلاب صفه المستقوين بالميليشيات، الى ناطور بنايته الذي يغدو سلطة امر واقع بقوة سلاح يجبر شفيق على المساهمة بثمنه. فيغدو مجتمع شفيق تصغيراً امينا لمجتمعات تكاثرت اوبئتها على حرارة الحرب، وانتشرت في جسد الوطن كانتشار الطاعون الذي يروي قصته شفيق لطلابه في الجامعة.

من الناحية التقنية، نجح المخرج ببعض الحركات في كسب اهتمام المشاهد لا سيما في عملية دمج الواقع الذي يعيشه الممثلون مع المشاهد التي يتخيلونها، وفي المؤثرات الخاصة التي استخدمها، ما اعطى الفيلم بعداً تشويقياً وفكرياً يستحق التنويه. اما من ناحية التمثيل فنراه موفقاً في اختيار مجموعة مهمة من الممثلين على رأسهم جوليا قصار، برناديت حديب، عبد الله الحمصي، حسن فرحات ونداء واكيم. غير انه كان في الإمكان التوسع اكثر بقصتي حديب (امرأة حامل تسكن في منزل واحد مع شفيق بعد هروبها من الحرب ويحاول الناطور التحرش بها، وكذلك قصة قصار(وهي مدرسة تعاني من مشكلات نفسية وصحية). إذ أن الشخصيتين اللتين تلعبهما الممثلتان شغلتا بأسلوب عميق كان من الممكن ان تستغلا اكثر في حبكة الفيلم.

تحلو في الفيلم الطريقة التي يحيك فيها المخرج الاحداث، دامجاً بين الرمزية والواقعية، مؤرخاً واحدة من المراحل الاكثر حرجاً في تاريخ لبنان، لا سيما انها المرحلة الاكثر قابلية للتكرر ما دامت عوامل الصراع ما زالت متأصلة في تركيبة المجتمع-النظام. فهو يظهر المآسي بتفصيل مؤلم غير ممل، وقدم لمحة عن اضطرار المواطنين للتأقلم مع الأمر الواقع المدمر للنفس قبل الحجر. ومن هنا يأخذنا تمسك شفيق بطيف المرأة التي قابلها الى حقيقة

■ برناديت حديب

■ بهيج حجيج احمد العيتاني

> انها المرحلة القابلة للتكرار ما دامت العوامل ذاتها

الحريري وما تلاها من احداث آخرها (حتى الآن) السابع من أيار، اظهرت ان الحواجز التي يقدمها الفيلم لا تزال قابلة لاحتلال الشوارع في اي لحظة، وان القنابل قادرة على سحق المواطنين متى دعت حاجة الطوائف الى ذلك.

بالعودة الى الفيلم الذي اقتبس حجيج قصته عن رواية المستبد لرشيد الضعيف، يتحدث عن شفيق الأستاذ الجامعي الذي يعيش في وحدة تقوده الى مغامرة عاطفية مع امرأة لم يعرف اسمها، ولم يذكر شكلها، فقد اجتمع بها

> انها مجتمعاتنا وقد تكاثرت اوباؤها على حرارة الحرب

جنوح الناس الى الغرائز يوم يقترب لموت. وغريزة الجنس هي الأقرب الى غريزة الحياة. وان اردنا ان ننظر للمشهد ببعده الرمزي نرى شفيق يبحث في غريزته عن امل ينشده، عن امل يقلب واقعه عقباً على رأس، انها حاجتنا اليومية لأمل بأن يصبح في لبنان وطن، شعب، بشر بدل الطوائف والميليشيات.

بعد خمس سنوات على انتاج زنار النار، نرى اننا لم نصدق ان الحرب يمكن تكرارها، فهل نحن شعب فقد الذاكرة لدرجة ان كان يحتاج اياراً كل عقد لكي تنتعش ذاكرته؟

درس حجيج الفلسفة والمسرح والسينما بين بيروت وباريس ويدرس حالياً السينما في الجامعة اللبنانية. في مسيرته الكثير من الافلام من بينها الخط الأخضر، بيروت حوار الأنقاض والمخطوفون.